انتشارات بين المللي المصطفى
وابسته به جامعة المصطفى العالمية

دروس في الشيعة والتشيّع

علي الرباني الگلپايگاني

تعريب: أنور الرصافي

مصورات
مكتبة الصدوق

دروس في الشيعة والتشيّع

علي الرباني الگلپايگاني

تعريب: أنوار الرصافي

انتشارات بين المللي المصطفى
وابسته به جامعة المصطفى العالمية

ربانی گلپایگانی، علی، ۱۳۳۴-
دروس فی الشّیعة والتّشیع /المؤلف علی الرّبانی الگلپایگانی ؛تعریب انور الرصافی ؛ [للجامعة المصطفی ﷺ العالمیة، مکتب التخطیط و تقنیة التّعلیم] .-قم: جامعة المصطفی ﷺ العالمیة، ۱۴۳۰ق.= ۱۳۸۸.
۲۸۲ص .-(مکتب التخطیط و تقنیة التعلیم؛ ۴۹)
ISBN 987 - 964 - 7741 - 85 - 9 ۳۵۰۰۰ریال
فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا.
عنوان اصلی: درآمدی بر شیعه شناسی.
عربی.
کتاب نامه: ص. [۲۷۹]-۲۸۲؛همچنین به صورت زیرنویس.
۱.شیعه امامیه-عقاید. ۲.شیعه امامیه-اصول دین. ۳.شیعه-تاریخ. الف.رصافی، انور، مترجم. ب.جامعة المصطفی ﷺ العالمیة. ج.جامعة المصطفی ﷺ العالمیة. دفتر برنامه ریزی و فن آوری آموزشی. د.عنوان. ه.عنوان: درآمدی بر شیعه شناسی.
BP ۲۱۱/۵/ر۲د۴۰۴۳ ۲۹۷/۴۱۷۲

دروس في الشيعة والتشيّع

المؤلف: علی الرباني الگلپایگاني
تعریب: أنوار الرصافي
الطبعة الثانية: ١٤٣٠ق / ١٣٨٨ش
الناشر: منشورات جامعة المصطفی ﷺ العالمية
الإخراج الفنّي: السيد محمد عمادي المجد
المطبعة: اميران ● السّعر: ٣٥٠٠٠ ريال ● عدد الطبع: ٤٠٠٠ نسخه

حقوق الطبع محفوظة للناشر.

التوزيع:
● قم، شارع بهار، قرب هتل الزّهراء ﷺ، منشورات جامعة المصطفی ﷺ العالمية.
هاتف - فكس: ٠٢٥١ ٧٧٤٩٨٧٥
● قم، بلوار محمدالأمين، تقاطع سالاريه، جنب جامعة العلوم، منشورات جامعة المصطفی ﷺ العالمية. هاتف - فكس: ٠٢٥١ ٢١٣٣١٠٤
www.miup.ir,www.cshop.miup.ir
E-mail: admin@miup.ir,Root@miup.ir

ج) أسلوب تعيين الإمام ١٦٥
نصوص الإمامة ١٦٧
١. آية الولاية ١٦٧
٢. آية التبليغ ١٧٠
٣. آية إكمال الدين ويأس الكافرين ١٧١
إزالة إبهام ١٧٣
٤. حديث الغدير ١٧٣
الإجابة عن إشكال ١٧٥
٥. حديث المنزلة ١٧٧
٦. حديث الدار ١٧٩
٧. حديث الاثني عشر خليفة ١٨٠
٨. حديث نقباء بني إسرائيل ١٨٢
٩. حديث الثقلين ١٨٢
المهدوية في الإسلام ١٨٥
الإيمان بالمهدي الموعود (عج) ١٨٥
نسب المهدي الموعود (عج) ١٨٧
ولادة المهدي المنتظر (عج) وحياته ١٨٨
أدلة وجود صاحب الزمان (عج) ١٩٠
فلسفة غيبة الإمام (عج) ١٩١
١. غيبة الإمام من الأسرار الإلهية ١٩١
٢. الخوف من القتل ١٩٢
٣. امتحان المؤمنين ١٩٤
٤. كيفية الغيبة ١٩٤
الآثار الوجودية للإمام الغائب ١٩٦
مسألة طول عمر إمام العصر (عج) ١٩٨
وقت الظهور وعلاماته ١٩٩
الشيعة والرجعة ٢٠١
الغُلوّ والغُلاة ٢٠٥
ظاهرة الغلوّ في عالم الإسلام ٢٠٦
علامات الغلوّ ٢٠٧
فرق الغلاة ٢٠٧
موقف أئمة أهل البيت من الغلاة ٢٠٨
مناهضة متكلمي الإمامية للغلو والغلاة ٢٠٩
تصوّرات خاطئة واتهامات رخيصة ٢١٠
تنبيهان ٢١٢

الباب الرابع: مباحث حول المعاد

فلسفة القيامة وحقيقة المعاد ٢١٧
حقيقة المعاد ٢١٨
القبر والبرزخ ٢٢١
مشاهد ومواقف يوم القيامة ٢٢٣
١. الحساب والميزان ٢٢٣
٢. الصراط ٢٢٣
٣. الأعراف ٢٢٤
٤. لواء الحمد ٢٢٤
٥. حوض الكوثر ٢٢٤

المقدّمة

لدىٰ مطالعة تاريخ الأديان بوجه عام وتاريخ الأديان السماوية بوجه خاص، تتجلّىٰ هذه الحقيقة، وهي: أنّ الأديان قد طرحت ـ منذُ ظهورها ـ سلسلة من الأصول المباني والأحكام والآداب الخاصّة، التي استقطبت أنصاراً التفّوا حولها، حتّىٰ غَدَوْا أمّة واحدة وموحّدة ماضية في حياتها الاجتماعية، بيْد أن هذه الأديان انقسمت ـ لعلل وأسباب شتّىٰ ـ بعد مُضيّ فترة من الزمن إلىٰ فِرَق ونِحَل ذات عقائد وآداب مختلفة.

والأمّة الإسلامية لم تُستثنَ من هذه الظاهرة التاريخية، فبعدَ ارتحال النبي الأكرمﷺ إلى الرفيق الأعلىٰ ظهرت فرق ونحل ومذاهب متعدّدة، ووافق ذلك الحديث الذي رُوي عنهﷺ والقائل بأنّ أمته ستفترق إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة.[1]

ولا شكّ في أن الخلافات اتخذت في البداية شكلاً محدوداً ثمّ اتّسعت أبعادها شيئاً فشيئاً، كما أنّ الخلافات التي حدثت في المسائل الدينية لم يكن جميعها مُنطَلَقاً لنشوء الفرق والنحل، وإنما فقط تلك التي تتعلّق بالمسائل المهمّة سواء في مجال العقيدة أو الشريعة، كالخلاف في توحيد الذات والصفات، وفي مسائل النبوة والإمامة، أو في مناهج تفسير القرآن وفهمه، وفي طرق تلقّي السنّة النبوية، ونظائر ذلك.

---

١. روي عن النبيﷺ انه قال: افترقت اليهود علىٰ احدىٰ او اثنتين وسبعين فرقة وافترقت النصارىٰ علىٰ احدىٰ او اثنتين وسبعين فرقة وتفترق امّتي على ثلاث وسبعين فرقة.[راجع: لمزيد من الاطّلاع علىٰ سند ومتن الرواية: الفرق بين الفرق، ص ٤ـ٩، بحوث في الملل والنحل، ج ١، ص ٢١ـ٤٠].

وعلىٰ هذا الأساس ظهرت فِرَق المُشبِّهة، والمؤوِّلة، والصفاتية، والعدلية، والقَدَرية، والجَبْريّة، والمفُوِّضة، والمُرجئة، والوعيدية، والتفضيلية، والحشوية، والسَّلَفية، وغيرها.

وتعتبر قضيّة الإمامة والخلافة من أهمّ القضايا التي نشب بسببها الخلاف في أوساط الأمّة الإسلامية،[1] منذُ اللحظات الأولىٰ لوفاة النبيﷺ، واستمرّ إلىٰ يومنا هذا، ويتمحور الخلاف حول تعيين الخليفة بعد النبيﷺ والذي تُخوَّل إليه مهام الزعامة الدينية والسياسية للأمَّة الإسلامية، وكيفيّة تعيينه.

فقد ذهبت جماعة إلىٰ أن خليفة النبي الأكرمﷺ يجب أن يتحلّىٰ بنفس صفات خصوصيات النبيﷺ، كما ينبغي أن يكون ـ بالإضافة إلىٰ عصمته ـ أفضل الصحابة علماً وعملاً.

وبما أنّ تشخيص هذه المواصفات ليس في متناول غير المعصوم، فإن ذلك يفرض على النبيﷺ النصّ على الخليفة من بعده، وقد حصل هذا فعلاً حينما نصب علياًعليه السلام خليفة وإماماً للمسلمين من بعده، وأطلق علىٰ هذه الجماعة التي تؤمن بالنص اسم الشيعة، وفي مقابل ذلك رأىٰ آخرون عدم ضرورة توفّر صفات النبيﷺ لدى الخليفة، وأنكروا تعيين الإمام والنصّ عليه من قبل النبيﷺ.

وقالوا بأنهﷺ ترك مصير هذه المسألة بأيدي المسلمين واختيارهم، وقد أَطلق علىٰ هؤلاء اسم أهل السنة، على الرغم من أنّ لهم أسماءً أخرىٰ مختلفة تدلّ علىٰ اختلافهم في مسائل دينية مهمة أخرىٰ، بل أنّ ثَمّة خلاف يسود بينهم في تعيين الفرقة الجديرة بهذا الاسم،[2] كما أن الخلاف بين الشيعة قد برز في مسألة الإمامة، الأمر الذي أفضىٰ إلى انقسامهم إلىٰ فرق مختلفة.[3]

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ من جاء بعد النبيﷺ بعنوان خليفة، وتسلّم مقاليد الحكم الإسلامي لا سيّما الزعامة والقيادة الإسلامية لم يكن متّصفاً بالصفات التي

---

١. يقول الشهرستاني: أعظم خلاف بين الأمّة، خلاف الإمامة، إذ ماسُلّ سيف في الإسلام علىٰ قاعدة دينية، مثل ما سُلّ على الإمامة في كل زمان، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٤.
٢. راجع: الكلام المقارن، للاطّلاع على التعبيرات المختلفة لاصطلاح أهل السنة.
٣. راجع في هذا الصدد: كتاب فرق الشيعة.

تحظىٰ بقبول الشيعة، ممّا جرّده ـ في نظرهم ـ من أيّة شرعية دينية، وقد انعكس هذا علىٰ موقفه منهم وعلىٰ طبيعة العلاقات التي كانت تسود بينه وبينهم والتي لم تتسم بالودّ والمحبّة، بل كانت مشوبة بالتوتّر والعنف.

ويتّضح هذا الموقف أكثر في عهد الأمويين والعباسيين. وثمّة شواهد تدل على ذلك، نجدها مبثوثة في كتب التاريخ، حيث عانى الشيعة خلال ذلك أوضاعاً سياسيةاقتصادية صعبة للغاية، وأُثيرت حول عقائدهم التُهم والافتراءات، حتّىٰ بلغت درجة اتّهموا فيها بالخروج عن الدين، وبمحاولة طمس معالم الإسلام واستئصال جذوره.

وقد كشفت الدراسات الموضوعية عن الحقيقة التالية، وهي أنّ عقائد الشيعة نابعة من صميم الكتاب والسنّة، وأنّ حجر الأساس للتشيّع قد تمّ وضعه بيد النبيﷺ، وهو الذي أطلق عليهم هذه التسمية.

وبأخذ هذه النكات بنظر الاعتبار، لا يبقىٰ مجال للشك في ضرورة البحثالتحقيق الموضوعي حول تاريخ الشيعة وعقائدهم، وقد نهض كبار مفكري الشيعة في الماضي بهذا العبء الثقيل ضمن أبحاث مستقلّة، أو ضمن أبحاث تاريخية وعقائدية، ودوّنت آثار قيّمة في هذا الصدد، ولا يعني هذا إيصاد باب البحث والتحقيق في هذا المجال، نظراً لاختلاف الشرائط والظروف الثقافية والاجتماعية التي تتطلّب القيام بالبحث والتحقيق المناسبين لتلك الظروف والشرائط، وبالتأكيد فإنّ سير البحث جارٍ دون انقطاع.

انّ العناوين والموضوعات التي يتعيّن بحثها عن مذهب التشيّع هي كالتالي:

١. ما هو المعنى الدقيق للشيعة والتشيّع؟

٢. كيف نشأت الشيعة، ومتىٰ؟

٣. ما هي فِرَق الشيعة؟

٤. ما هي التحوّلات التي مرّت بها الشيعة عبر التاريخ؟

٥. من هم أئمّة الشيعة، وما هي أوصافهم وخصوصياتهم؟

٦. ما هي الشخصيّات الشيعيّة البارزة في مجال العلوم والمعارف الإسلامية؟

٧. ماهو دور الشيعة في إثراء الثقافة والحضارة الإسلامية؟

٨. ما هي مصادر ومنابع الفكر الشيعي في الأصول والفروع؟

٩. ما هي عقيدة الشيعة في أصول الدين؟

١٠. ما هي آراء الشيعة في مجال الفروع؟

ومن الواضح أنّ تفصيل البحث في مثل هذه الموضوعات يحتاج إلىٰ تأليف مجلدات ضخمة، وإلىٰ جهود جماعية لا فردية.

والكتاب الماثل بين يديك، دوّن بهدف تدريسه في المعاهد الدينية، ولذا لا نتوقّع منه الإجابة عن جميع التساؤلات المثارة، بل أنّ توقّعَ الإجابة عن بعضها بنحو مسهب ومعالجة جميع أبعادها وزواياها توقّع غير معقول وغير منطقي بالمرّة.

وبناءاً على ذلك ومع ملاحظة الأولويات وأخذها بنظر الاعتبار، نشير إلى النقاط التالية:

الأولىٰ: الإعراض عن تناول بعض الموضوعات المذكورة آنفاً، نظير الموضوع ٥، ٦ و٧.

الثانية: بيان سائر الموضوعات بنحو مختصر، ومن المسائل التي سنوليها اهتماماً اكبر: تاريخ نشأة التشيّع، والآراء والنظريات غير الصائبة المطروحة في هذا المجال ومحاولة نقدها، إضافة الىٰ مباحث الإمامة لا سيما عصمة الإمام، والنصوص الدالّة على الإمامة.

جدير بالذكر أنّنا سوف نتناول هاتين المسألتين (العصمة والنصّ) ضمن بحثين، أحدهما: ضرورة عصمة الإمام ولزوم النصّ عليه، وثانيهما: إثبات عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام والنصّ علىٰ إمامتهم.

والمبحث الأوّل يتعلّق بالإمامة العامة، في حين يتعلّق المبحث الثاني بالإمامة الخاصة.

وسوف نورد المباحث التي تتّصل بهاتين المسألتين في مناسبات مختلفة حسبما يسمح به المجال.

ونُلفت نظر الأساتذة الكرام إلىٰ أنّ تدريس هذا الكتاب برمّته في فصلين أو ثلاثة فصول دراسية أمر غير محبّذ وبعيد المنال، ولذا يلزم من جهة العناية ببعض المواضيع التي تتناسب مع هذه المادّة الدراسية، ومن جهة أخرىٰ ينبغي الاهتمام ببعض المواضيع التي قلّما تُسلّط الأضواء عليها قبل أو بعد هذه المرحلة الدراسية نظير تاريخ

التشيّع نشأته ومباحث الإمامة، ومن جهة ثالثة يستحسن إحالة مطالعة الجانب التاريخي لبعض الأبحاث إلى الطلّاب الأعزّاء، والاقتصار على جانبها التحليلي، وعلى أيّة حال، فإنّ هذا الكتاب الماثل بين يديك، لا يمكنه أن يغضّ الطرف عن أمّهات مباحث الفكر الشيعي في الأصول والفروع لا سيّما المسائل التي انفردت بها الشيعة والتي أثيرت حولها الشبهات، باعتبارها شبهات عقائدية استهدفت تشويه وجه التشيّع، إعطاء صورة غير واقعية أو غير شرعية عنه.

وقد خضعت دروس هذا الكتاب لتجربة الأساتذة القائمين بالتدريس، وأبدوْا ـ مشكورين ـ آراءهم ومقترحاتهم في هذا الخصوص، وبعد مراجعتها والتسليم بجملة منها، استقرّ الرأي علىٰ إجراء تغيير جذري لبعض المباحث وإعادة صياغتها من جديد، ونقل بعض المطالب إلىٰ ما يناسبها من عناوين، وتنقيح مصادر البحث ومراجعتها كمّاً وكيفاً.

ولا يسعني في هذا المقام إلّا أن أُقدّم لهم شكري الوافر، راجياً من الباحثين أن يتحفوني بآرائهم الصائبة ونظراتهم السديدة.

وفي الختام، يطيب لي أن أزجي فائق تقديري وخالص شكري لمعاونية التعليم في الجامعة المصطفىﷺ العالمية، ولمدير مكتب التخطيط وتقنية التعليم، سائر الأعزّاء، سائلاً المولىٰ جَلّ شأنه أن يمدّهم بالتوفيق والسداد في سبيل نشر معارف التشيّع الأصيلة.

وآخر دعوانا أن الحمدلله ربّ العالمين.

علي الربّاني الگلپايگاني

٢٧ محرم الحرام ١٤٢٤ق / ١١ فروردين ١٣٨٢ش

٤

المهدوية في الإسلام

الإيمان بالمهدي الموعود (عج)

يعتبر الإيمان بالمهدي الموعود (عج) من جملة الاعتقادات المسلّم بها عند جميع المذاهب الإسلامية، ومنشأ ذلك هو الأحاديث المتواترة الصادرة عن النبي في هذا الشأن، ومفادها ظهور رجل من آل محمدﷺ في آخر الزمان وقبل قيام الساعة، يُلقّب بالمهدي، يرفع لواء الإسلام في ربوع العالم، ويحكّم قوانينه العادلة، فـ «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً».

واستناداً للأبحاث التي قام بها بعض المحققين، فإن الأحاديث المتعلّقة بالمهدي الموعود وردت في أكثر من ستين مصدراً من مصادر أهل السنة لا سيما الصحاح الستة، كما وردت في أكثر من تسعين مصدراً شيعياً لاسيما الكتب الأربعة.[١]

ولأهمّية هذا الموضوع عند المسلمين، فقد أفرد له الكثير من المؤلّفين كتباً مستقلة، ويُعدّ محمد بن إسحاق بن إبراهيم الكوفي (المتوفّىٰ ٢٧٥١ هـ) أوّل من ألّف فيه كتاباً، سمّاه صاحب الزمان.[٢]

وقد بلغت أحاديث المهدي المنتظر من الاعتبار درجة، بحيث دعت ابن تيمية وأتباعه ـ الذين كثيراً ما يثيرون الشكوك حول عقائد الشيعة ـ إلى الإذعان بصحتها،

---

١. للاطلاع أكثر، راجع: آية الله الصافي، منتخب الأثر.

٢. ابن النديم، فهرست، ص ٢٢٣

فابن تيمية بالاستناد إلىٰ صحيح الترمذي ومسند أحمد وسنن أبي داود يعتبر أحاديث المهدي صحيحة سنداً.[١] ومما يثير العجب أن ابن خلدون ـ مع هذا كلّه ـ قد ناقش هذه الأحاديث قائلاً: الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي لم يخلص منها من النقد إلّا القليل.[٢]

وقد فنّد المحققون من كلا الفريقين رأي ابن خلدون هذا، وأثبتوا وهنه، يقول الدكتور عبد الباقي وهو من محقّقي أهل السنة المعاصرين بشأن أحاديث المهدي: إنها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع علىٰ تناقلها مئات الرواة، وأكثر من صاحب كتاب صحيح. فلماذا نردّ كل هذه الكمية؟ أكلّها فاسدة؟ لو صح هذا لانهار الدين ـ والعياذ بالله ـ نتيجة تطرّق الشك والطعن الفاسد إلى ما عداها من سنة رسول الله ﷺ. وأضاف: إنّ كثيراً من السلف لم يعارضوا هذا المنقول، بل جاءت شروحهم وتقريراتهم موافقة لإثبات هذه العقيدة عند المسلمين.[٣]

وعلى الرغم من المناقشات والتشكيكات الكثيرة التي أثارها ابن خلدون، فإنه أذعن بصحة بعض تلك الأحاديث، ومن البديهي أنّه إذا وُجد حديث معتبر واحد بشأن هذه العقيدة، فإنه لا يُمكن طرحها جانباً، بل ينبغي قبولها واعتبار الأحاديث المتواترة الأُخرى ـ مهما كانت أسانيدها معلولة ـ كمؤيّد لها.

وأعجب من كلام ابن خلدون، ما صرح به أحمد أمين الذي لم يكتف فقط بالتردّد في صحة أحاديث المهدي، بل زعم أنها من تخيّلات الشيعة، ذلك أنهم ـ حسب زعمه ـ اختلقوا أحاديث في فضائل علي والمهدي المنتظر كردّ فعل لما قام به بني أمية الذين وضعوا أحاديث في فضائل الصحابة ـ ما عدا علياً ـ وخاصة عثمان، وحيث أن أسانيد هذه الروايات كانت مقبولة عند علماء الإسلام، فإنهم قبلوا أيضاً هذه الأحاديث المختلقة.

ويردّ عليه، أوّلاً: إن فضائل الإمام علي عليه السلام لا تختصّ بالشيعة، لأن جلّ فضائله عليه السلام

---

١. أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة، ص ٤٠٤ـ٤٠٥

٢. مقدمة ابن خلدون، ص ٣١١ـ٣٢٢

٣. بين يدي الساعة، ص ١٢٣ـ١٢٥

التي رويت في كتب الشيعة وردت في كتب أهل السنة أيضاً، فأيّ حاجة يدعو الشيعة إذن إلىٰ أن يضعوا أحاديث في فضله ؟

ثانياً: مرّ الشيعة في عصر بني أمية وغيرهم في أسوء الظروف السياسية والاجتماعية، وكانوا لا يجرأون أن يرووا فضائل الإمامعليه السلام الثابتة، فكيف يُتاح لهم وضع أحاديث في فضلهعليه السلام كردّ فعل لبني أمية؟!

ثالثاً: كيف يمكن لجمع غفير من محدثي ومؤلفي أهل السنّة قبول أحاديث المهدي الموضوعة من قبل الشيعة، مع أن التشيّع عندهم من أسباب القدح في رواة الحديث؟![1]

نسب المهدي الموعود (عج)

وردت أحاديث كثيرة في نسب المهدي المنتظر، تمّ التأكيد فيها على النكات التالية:

١. المهدي من الأمة الإسلامية، هذا الأمر إضافة إلىٰ أنّه ورد بصورة خاصة في بعض الأحاديث، فإن الروايات التي وردت بشأن نسبهعليه السلام تثبت بنحو لا يبقىٰ معه مجال للشك في أن المهدي الموعود من الأمة الإسلامية. نعم ثمّة رواية واحدة فقط تقول: «لا مهدي إلّا عيسى بن مريم»، وهي في نظر المحدّثين والمحقّقين إما مُختلقة أو غير معتبرة في معارضة الروايات المتواترة أو أن يُصار إلىٰ تأويلها، وقالوا إن المراد بها هو المبالغة في هداية المسيحعليه السلام، نظير حديث «لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد» الدالّ على كمال الصلاة وأفضليتها لا علىٰ بطلان الصلاة في غير المسجد.[2]

٢. المهدي (عج) من عترة النبيصلى الله عليه وآله (٣٣٩ رواية).

٣. المهدي (عج) من أبناء عليعليه السلام (٢١٤ رواية).

٤. المهدي (عج) من أبناء فاطمةعليها السلام (١٩٢ رواية).

٥. المهدي (عج) التاسع من ذرّية الحسينعليه السلام (١٤٨ رواية).

٦. المهدي (عج) من أبناء الإمام الحسن العسكريعليه السلام (١٤٦ رواية).

يُذكر أنه لا خلاف بين الفريقين في كون المهدي الموعود (عج) من ذرية علي

---

١. انظر: أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٥.

٢. صدر الدين الصدر، المهدي، ص ٤٦

وفاطمة عليها السلام. أما كونه من ذرية الحسن عليه السلام أو من ذرية الحسين عليه السلام ففيه قولان: الأوّل: أنّه من ذرية الحسين عليه السلام، وهو ما أجمع عليه الشيعة واشتهر لدىٰ أهل السنة، الثاني: أنّه من ذرية الحسن المجتبىٰ عليه السلام.

وجاء في بعض الروايات أن المهدي من ذرية الحسن والحسين عليهما السلام، ويمكن توجيه ذلك بأن نسبه ينتهي من جانب الأب إلى الحسين عليه السلام، ومن جانب الأم إلى الحسن عليه السلام، لأن أم الإمام محمد الباقر عليه السلام هي فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام، وعلىٰ ذلك ينتهي نسب الإمام الباقر وسائر الأئمة عليهم السلام من بعده إلى الحسين عليه السلام من جانب الأب، وإلى الحسن عليه السلام من جانب الأم، فالمهدي إذن ـ بهذا التوجيه ـ حسيني وحسني أيضاً.

أما الرواية الدالة على ان نسبه (عج) ينتهي إلى الحسن عليه السلام فلا يصح الاستناد إليها، لأُمور:

الأوّل: اختلاف النقل عن أبي داود، وقد نقلها صاحب عقد الدرر عن سنن أبي داود، وفيها أن علياً نظر إلىٰ ابنه الحسين عليه السلام.

الثاني: أن جماعة من الحفّاظ كالترمذي والنسائي والبيهقي نقلوا هذه القصة بعينها، وفيها أن علياً نظر إلىٰ ابنه الحسين.

الثالث: احتمال التصحيف فيها، فإن لفظ الحسن والحسين متشابه في الكتابة، واحتمال وقوع التصحيف فيهما قريب جداً.

الرابع: أنها مخالفة للمشهور عند علمائهم كما نص عليه بعضهم.

الخامس: أنها معارضة بأخبار كثيرة أصحّ سنداً وأظهر دلالة.[1]

ولادة المهدي المنتظر (عج) وحياته

المهدي (عج) هو الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية، ولد في سامراء ليلة النصف من شعبان عام (٢٥٥ هـ)،[2] وعاش في كنف أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام مدة خمس سنوات، ثم غاب عن الأنظار بعد استشهاد أبيه عام (٢٦٠ هـ)، واستمرت غيبته ـ التي

---

١. المهدي، ص ٦٦ـ٦٨

٢. كان الإمام بعد أبي محمد عليه السلام ابنه المسمىٰ باسم رسول الله صلى الله عليه وآله المكنىٰ بكنيته، ولم يخلف أبوه ولداً ظاهراً ولا باطناً غيره، وكان مولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان عام (٢٥٥ هـ).

أُطلق عليها اسم الغيبة الصغرىٰ ـ إلى عام (٣٢٩ هـ)، كان الشيعة يرجعون خلالها إلى نوّابه الأربعة الذين عيّنهم (عج) في هذه الفترة، ثم بدأت غيبته الكبرىٰ التي أخذ فيها الشيعة يرجعون في أُمورهم إلى الفقهاء العدول.[1] وعلى ضوء ذلك فالإمام المهدي (عج) قد وُلد، وهو لا يزال حيّاً وغائباً عن الأنظار.

ثم ان الاعتقاد بولادة المهدي لا يختصّ بالشيعة فقط، بل اختاره أيضاً عدد كبير من علماء أهل السنة، نظير:

ابن حجر الهيتمي الشافعي في كتاب الصواعق المحرقة، والسيد جمال الدين في كتاب روضة الأحباب، وابن الصباغ المالكي في كتاب الفصول المهمة، وسبط ابن الجوزي في كتاب تذكرة الخواص، وعبد الرحمن الجامي الحنفي في كتاب شواهد النبوة، والحافظ أبي عبد الله الكنجي الشافعي في كتابيه البيان في أخبار صاحب الزمان وكفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، وأبي‌بكر البيهقي في كتاب شُعب الإيمان، وكمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتاب مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، والحافظ أبي محمد البلاذري في كتاب الحديث المتسلسل، وأبي محمد عبد الله بن الخشاب في كتاب تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم، والشيخ محيي الدين بن العربي في كتاب الفتوحات المكية، والشيخ عبد الوهاب الشعراني فصل الخطاب، والحافظ أبي الفتح محمد بن أبي الفوارس في كتاب الأربعون، وعبد الحق الدهلوي في رسالة مناقب وأحوال الأئمة، والحافظ سليمان القندوزي الحنفي في كتاب ينابيع المودة، وعبد الله بن محمد المطيري في كتاب الرياض الزاهرة، وأبي المعالي سراج الدين الرفاعي في كتاب صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار، والمؤرخ المعروف محمد بن خاوندشاه في كتاب روضة الصفا، وغيرهم، وقد ذكرت أسماء ما يربو علىٰ ستين شخصاً منهم في كتاب منتخب الأثر.[2]

نعم، ثمة قول مشهور لدىٰ علماء السنة يذهب إلى أن المهدي لم يولد بعد، وسيولد في آخر الزمان وقبل قيام الساعة، إلّا أن الشيعة اعتقدت بمولده وحياته وفقاً لأدلة عقلية ونقلية.

---

١. سيأتيك البحث حول الغيبة الكبرى والنيابة العامة لفقهاء الشيعة بعد قليل.
٢. منتخب الأثر، ص ٣٢٢ـ ٣٤٠

أدلة وجود صاحب الزمان (عج)

قامت الأدلة العقلية علىٰ وجوب وجود إمام معصوم في كل زمان ومكان، ومفادها: ضرورة وجود حجّة إلٰهية بالغة بين البشر، والإمام المعصوم يعتبر مصداقاً تاماً لها، وهو مقتضىٰ قاعدة اللطف التي تعدّ من القواعد الكلامية والعقلية. أما غيبة الإمام فهي أمر ثانوي عارض، لا ينافي الأمر الأصلي الأولي، وهو وجوب وجود الإمام، كما يقول المحقّق الطوسي: «وجوده لطف، وتصرّفه لطف آخر، وعدمه منّا».

وفي هذا الصدد يقول الإمام علي عليه السلام: «اللهم بلىٰ! لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً، وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته».[1]

٢. دلّت بعض الأحاديث كحديث الثقلين وحديث الاثني عشر خليفة علىٰ وجود إمام معصوم في كل زمان وحتىٰ قيام الساعة. وقد مرّ بيان ذلك في مبحث نصوص الإمامة.

٣. تثبت الأخبار والوثائق التاريخية أن الإمام (عج) قد وُلد في مكان وزمان معيّنين، والأسلوب المتّبع عادة لمعرفة مواليد الأشخاص ووفياتهم هو الاستناد إلى مثل هذا النوع من الوثائق، وقد ذكرنا فيما سبق أسماء عدد من محدثي أهل السنة ومؤرخيهم الذين نقلوا أخبار ولادة صاحب الزمان (عج).

٤. وثائق متعلقة بأشخاص رأوا المهدي (عج) في دار أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، يوم كان أبوه عليه السلام حيّاً.

٥. وثائق متعلقة بأشخاص رأوا الإمام المهدي في أيام غيبته الصغرىٰ، ويعدّ نوّابه الأربعة في طليعة هؤلاء. يُذكر أن النواب الأربعة كانوا من أكابر الشخصيات الشيعية، ومن نوادر زمانهم في التقوى والزهد والورع.

٦. وثائق مرتبطة بأشخاص رأوا الإمام (عج) في الغيبة الكبرىٰ. هذه الوثائق بلغت من الكثرة حدّاً، لا يُحتمل معه أن تكون مُختلقة أو خاطئة، فبالنسبة لأي موضوع تاريخي أو اجتماعي إذا بلغت فيه الأخبار والوثائق المنقولة عن أفراد مختلفين وفي أوقات وأماكن مختلفة، إذا بلغت هذا الحجم، فسوف يُحكم بصحته وقطعيته.

---

١. نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧

فلسفة غيبة الإمام (عج)

إن مسألة الغيبة من المسائل المعروفة في تاريخ الأنبياء، فقد استدعت الظروف ـ أحياناً ـ اعتزال وغيبة بعض الأنبياء عن أممهم وأقوامهم، ويمكن مطالعة سِيَر الأنبياء يونس وموسىٰ عليهما السلام ومحمد صلى الله عليه وآله باعتبارها نماذج لما ذكرناه.

فيونس عليه السلام غاب عن قومه مدة، وموسىٰ عليه السلام غاب أربعين ليلة قضاها بعيداً عن قومه، ومحمد صلى الله عليه وآله ترك قومه عند هجرته من مكة إلى المدينة،[1] ولم تخدش كل هذه الموارد أصل نبوّتهم. ومن الواضح بمكان أنّ الغَيْبة إذا كانت تنافي النبوة أو الإمامة، فالأمر سواء، طالت مدّتها أو قصرت، ولذا لا ينبغي الاعتقاد بأن طول غيبة صاحب العصر (عج) لا يتلائم مع إمامته.

وإليك عدداً من الأحاديث التي رويت عن الأئمة المعصومين بشأن أسباب غيبة الإمام (عج) وفلسفتها:

١. غيبة الإمام من الأسرار الإلٰهية

ورد التأكيد في بعض الروايات علىٰ هذه النكتة، وهي أن فلسفة وحكمة الإمام المهدي لا تتضح بصورة كاملة حتىٰ ظهوره (عج)، ومقتضى الإيمان هو التسليمُ بوجوده لاسيما بعد إقامة البرهان علىٰ ذلك، وعدمُ التردد فيه نتيجة العجز عن إدراك فلسفة الغيبة. روى الشيخ الصدوق عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيْبة لا بدّ منها يرتاب فيها كل مبطل، فقلت له: ولِمَ جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات مَن تقدّمه من حجج الله تعالىٰ

---

١. كان النبي صلى الله عليه وآله في بداية بعثته مختفياً عن عامة الناس لمدة ثلاث سنوات، ولم يطلع علىٰ نبوته سوى الخواص، وهو صلى الله عليه وآله طيلة هذه المدة كان نبياً ويعيش بين الناس، بيد أنهم ما كانوا يعرفون أنّه نبيّ. وكذلك صاحب الزمان (عج) كان خليفة النبي صلى الله عليه وآله وإمام المسلمين في عصر الغيبة. وكان يعيش بينهم، ولكن لم يعرفه سوى الخواص من شيعته.وقد ورد في الروايات تشبيه غيبة صاحب الزمان(عج) بغيبة يونس وموسى عليهما السلام ومحمد صلى الله عليه وآله. راجع في هذا الصدد: الشيخ الصدوق، كمال الدين.

ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر﵇ من خرق السفينة، وقتل الغلام، واقامة الجدار، لموسىٰ﵇ إلّا وقت اختراقها. يا ابن الفضل إن هذا الأمر أمر من الله، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتىٰ علمنا أنّه عزوجل حكيم صدّقنا بأن أفعاله كلها حكمة وأنّه كان وجهها غير منكشف لنا».[١]

٢. الخوف من القتل

ورد في روايات كثيرة أن أحد أسباب غيبة القائم (عج) هو الخوف من القتل،[٢] فعن زرارة عن الإمام الباقر، قال: إن للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت: ولِمَ؟ قال: يخاف القتل.[٣]

إن الخوف من القتل له دافعان: أحدهما: رغبة الشخص في التمتع بالمزيد من اللذائذ الدنيوية، والموت هادم لها، فهو إذن أمر غير محبوب عنده، والآخر: هو أن يكون الشخص صاحب مسؤولية ثقيلة، تفرض عليه ـ من أجل أدائها ـ الحفاظ علىٰ حياته. ولا ريب في أن النوع الأوّل مذموم، والثاني ممدوح بل واجب، ومثاله لجوء النبيﷺ إلى غار حراء بغية الحفاظ علىٰ حياته، وهكذا الحال في شأن الإمام المنتظر (عج) فهو ـ بالاستناد إلى الأدلة العقلية والنقلية ـ آخر حُجّة إلٰهية في الأرض، وتقع علىٰ عاتقه مهمة صعبة، لابدّ من أدائها عند توفّر الظروف الملائمة، وهي تحكيم الإسلام، ورفع لواء التوحيد عالياً خفّاقاً علىٰ وجه البسيطة بإذن الله ومشيئته. هذه المهمة تمثل خطراً كبيراً علىٰ المصالح غير المشروعة للظالمين والمستبدين، وعلىٰ ذلك فهم لا يقفون مكتوفي الأيدي تجاه هذا المصلح الذي يُهدّد أطماعهم، بل سيكيدون له كيداً، ويحيكون له المؤامرات والدسائس بهدف تصفيته والتخلّص منه، من هنا بات وقوع الغيبة هو الأسلوب الأفضل للإبقاء عليه حياً.

قد يقال: أليس بالإمكان ـ من باب الإفتراض ـ أن يحافظ الله علىٰ وجوده (عج)

١. علل الشرائع، ص ٢٤٤، الباب ١٧٩
٢. راجع: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٩٠ـ٩٨.
٣. الشيخ الطوسي، الغَيْبة، ص ٢٠١

عن طريق المعجزة؟ وحينئذ لا يؤثر علىٰ جسمه أي سلاح أو سمّ قاتل، وبالتالي يبقىٰ الإمام ظاهراً حياً لا يتهدّده أي خطر، فينتفع الناس ببركاته.

والجواب: إن الاستعانة بالمعجزة لحفظ حياة الأفراد أمر نادر لا يقع إلّا في موارد خاصة، وقد اقتضت المشيئة الإلٰهية أن يمضي حجج الله حياة طبيعية بين الناس، وأن تجري القوانين المتحكمة بالكون في حقهم كسائر الناس إلّا في موارد نادرة، إذ لو لم يكن الأمر كذلك، لبطل قانون الابتلاء والاختيار الإلٰهي لأفراد البشر، ومن الواضح أن الإمام لو كان يحيا بتلك الخصوصيات التي ذُكرت في الافتراض المذكور، لآمن به الناس بشكل قهري وجبري، وفوق ذلك سيُعتبر في منزلة تسمو علىٰ منزلة البشر، وسيُعبد من دون الله. هذه بعض التبعات غير المحبّذة لهذا الافتراض، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الطوسي:

«فإن قيل: هلا منع الله من قتله بما يحول بينه وبين مَن يريد قتله ؟

قلنا: المنع الذي لا ينافي التكليف هو النهي عن خلافه والأمر بوجوب اتباعه ونصرته والتزام الانقياد له، وكل ذلك فعله تعالىٰ، وأما الحيلولة بينهم وبينه، فإنه ينافي التكليف وينقض الغرض به، لأن الغرض بالتكليف استحقاق الثواب، والحيلولة ينافي ذلك. وربما كان في الحيلولة والمنع من قتله بالقهر مفسدة للخلق، فلا يحسن من الله فعلها.

إن قيل: أليس آباؤه عليهم السلام كانوا ظاهرين ولم يخافوا ولا صاروا بحيث لا يصل إليهم أحد؟

قلنا: أوّلاً: آباؤه عليهم السلام حالهم بخلاف حاله لأنه كان المعلوم من حال آبائه لسلاطين الوقت وغيرهم أنهم لا يرون الخروج عليهم ولا يعتقدون أنهم يقومون بالسيف، ويزيلون الدول، بل كان المعلوم من حالهم أنهم ينتظرون مهدياً لهم، وليس يضرّ السلطان اعتقاد من يعتقد إمامتهم إذا آمنوهم علىٰ مملكتهم، وليس كذلك صاحب الزمان (عج) لأن المعلوم منه أنّه يقوم بالسيف ويزيل الدول ويقهر كل سلطان ويبسط العدل ويميت الجور، فمن هذه صفته يُخاف جانبه ويُتقىٰ فورته، فيُتتبّع ويُرصد وتوضع العيون عليه، ويُعنىٰ به خوفاً من وثبته وريبة من تمكّنه، فيُخاف حينئذ ويحوج إلى التحرز والاستظهار بأن يخفىٰ شخصه عن كل من لا يأمنه من ولي وعدو إلىٰ وقت خروجه.

ثانياً: فآباؤه إنما ظهروا لأنه كان المعلوم أنه لو حدث بأحدهم حادث لكان هناك

من يقوم مقامه ويسدّ مسدّه من أولاده، وليس كذلك صاحب الزمان (عج) لأن المعلوم أنه ليس بعده من يقوم مقامه بعد حضور وقت قيامه بالسيف، فلذلك وجب استتاره وغيبته».[١]

٣. امتحان المؤمنين

من السنن الإلٰهية في حقّ المؤمنين هي تعرّضهم لأنواع الامتحانات، نظير ابتلائهم بأنواع الشدائد والمحن، يقول تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾.[٢]

وقد ذكرت روايات عديدة أن من أسباب أو فلسفة غيبة القائم (عج) هو امتحان المؤمنين، وقد نقل كتاب منتخب الأثر ما يربو علىٰ (٢٤) حديثاً في هذا المجال، وجاء في إحدىٰ هذه الروايات:

كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة فتحدثنا فالتفت إلينا، فقال: «في أي شيء أنتم؟ أيهات أيهات، لا والله لا يكون ما تمدون إليه اعينكم حتى تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ تميزوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم إلّا بعد أياس، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ يشقىٰ من شقي ويسعد من سعد».[٣]

يقول الشيخ الطوسي في هذا الصدد: «وأما ما روي من الأخبار من امتحان الشيعة في حال الغيبة وصعوبة الأمر عليهم واختبارهم للصبر عليهم، فالوجه فيها الإخبار عما يتفق من ذلك من الصعوبة والمشاق لا أن الله تعالىٰ غيّب الإمام ليكون ذلك، وكيف يريد الله ذلك، وما ينال المؤمنين من جهة الظالمين ظلم منهم لهم ومعصية، والله تعالى لا يريد ذلك بل سبب الغيبة هو الخوف، وأخبروا بما يتفق في هذه الحال وما للمؤمن من الثواب على الصبر علىٰ ذلك، والتمسك بدينه إلىٰ أن يفرّج الله تعالىٰ عنهم».[٤]

٤. كيفية الغيبة

طرحت فرضيتان بشأن كيفية غيبة صاحب العصر والزمان (عج): الفرضية الأُولى: إن الإمام (عج) غائب عن الأنظار حقيقة أو يعيش في نقطة غير مأهولة بالسكّان، بعيداً

١. المصدر السابق، ص ٢٠٠ ٢. العنكبوت، ٢، ٣ ٣. الغيبة، ص ٢٠٣، ٢٠٤
٤. المصدر السابق، ٢١٣

عن البشر، أو يعيش بين أبناء البشر دون أن تقع عليه أنظارهم بإعجاز إلٰهي.

والفرضية الثانية: إن الإمام يعيش بينهم وتقع عليه أنظارهم ولكن لا يعرفونه. وقد وردت أحاديث عن كيفية الغيبة تنسجم مع كلتا الفرضيتين. روى الشيخ الصدوق عن الريّان بن الصلت عن الإمام الرضاﷺ أنّه قال عن القائم (عج): لا يُرىٰ جسمه ولا يُسمىٰ باسمه».[١]

وروىٰ في حديث آخر عن عبيدة بن زرارة أنه قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: «يفقد الناس إمامهم فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه».[٢]

وروىٰ في حديث آخر عن الصادقﷺ أنه قال: «الخامس من ولد السابع يُغيّب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته».[٣]

ويذهب أتباع هذه الفرضية إلىٰ أن المصلحة تقتضي أحياناً ملاقاة الإمام، فالأخبار المتعلقة برؤية الإمام من قبل الذين تشرّفوا بلقائه لا تنافي الفرضية المذكورة.

وإليك نماذج من الروايات المؤيدة للفرضية الثانية:

١. روى الشيخ الطوسي عن محمدبن عثمان العمري ـ ثاني نائب خاص للقائم(عج) ـ أنّه قال: «والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه».[٤]

٢. وعن علي بن صدقة، قال: خرج إليّ محمد بن عثمان العمري ابتداءً من غير مسألة ليخبر الذين يسألون عن الاسم: أما السكوت والجنة، وأما الكلام والنار، فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه.[٥] ومن الواضح أن الوقوف على اسم الإمام ـ فيما لو كان غائباً ـ لا يوجب معرفته.

٣. قيل لأبي سهل النوبختي: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأُناظرهم، ولو علمتُ بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة على مكانه لعلي كنت أدلّ علىٰ

١. كمال الدين، ص ٦٤٨ ٢. المصدر السابق، ص ٣٤٦
٣. المصدر السابق، ص ٣٣٣، ٣٣٨ ٤. الغيبة، ص ٢٢١
٥. المصدر السابق، ص ٢١٩، ٢٢٢

مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه.[١]

ويبدو واضحاً أن إعلام الأعداء بمكان الإمام إنما يكون خطراً يهدّده، إذا كان الإمام (عج) يُرىٰ.

ويمكن القول إن الفرضيتين المذكورتين حول كيفية غيبة إمام العصر (عج) مقبولتان، دون أن يكون هناك أي تنافٍ في البيْن ذلك أن مسألة رؤية الاشخاص للإمام وعدم معرفتهم به، أو عدم رؤيته لهم إنما ترتبط بظروف هؤلاء الأشخاص ومصالحهم، ولا يمكن وضع قاعدة عامة في هذا الصدد. والإمام (عج) يعمل وفق المصلحة التي يراها.

الآثار الوجودية للإمام الغائب

من الشبهات التي يثيرها منكرو وجود إمام العصر (عج) هي: ما فائدة وجود إمام غائب عن الأنظار؟ ذلك أن هداية الناس وإمامتهم مرهونتان بوجود إمام حاضر في أوساطهم، ليُتاح لهم الاتصال به.

وللإجابة عن هذه الشبهة نقول:

أوّلاً: لا ملازمة بين غيبة الإمام وعدم البتّ في أمور شيعته، فالقرآن الكريم يشير إلىٰ قصة انتفاع البشر بوليّ من أوليائه بواسطة موسىعليه السلام، فليس هناك ما يمنع من اتصال إمام العصر (عج) ـ وبطرق خاصة ـ بأشخاص، فينتفعوا به وبإرشاداته.

ثانياً: إن انتفاع شيعة الإمام بوجوده ليس رهن اتصالهم به جميعاً، بل يتحقق هذا الانتفاع أيضاً فيما إذا اتصل به أشخاصٌ ذوو مؤهلات خاصة، وبواسطتهم ينتفع الناس بالإمام، كما في الوثائق التي تؤكد تشرّف روّاد الشيعة بلقاء الإمام (عج).

ثالثاً: إن قيادة النبيصلى الله عليه وآله أو الإمام ـ علىٰ فرض حضوره ـ للناس لم تكن بلا واسطة دائماً، بل كانت تتم في كثير من الموارد عن طريق الوكلاء والممثّلين، وكان للأئمة المعصومين في عصر الحضور وكلاء في أصقاع مختلفة من البلاد الإسلامية، تقع علىٰ عاتقهم مسؤولية هداية الناس، وكان هذا الأسلوب رائجاً بين البشر علىٰ طول التاريخ،

---

١. المصدر السابق، ص ٢٤٠

وعلىٰ هذا الأساس تولىٰ إمام العصر (عج) قيادة الناس عبر سفرائه الأربعة (النيابة الخاصة) في زمن الغيبة الصغرىٰ، وعبر الفقهاء العدول (النيابة العامة) في زمن الغيبة الكبرىٰ.

رابعاً: وجود الإمام المعصوم ـ عند الشيعة ـ من مصاديق اللطف، واللطف يدفع بالإنسان نحو الطاعة والعبادة، والابتعاد عن الذنب والمعصية، ولاشك في أن الاعتقاد بوجود إمام معصوم حاضر بين أفراد البشر لا يرونه ولا يعرفونه، ولكن (عج) يراهم ويعرفهم ويطّلع علىٰ أعمالهم الحسنة أو السيئة، ان الاعتقاد بذلك وبتوقّع ظهوره في أية لحظة له دور أساسي في هداية الإنسان وتربيته.

خامساً: تقدّم في مبحث حقيقة الإمامة وأبعادها أن من تلك الأبعاد هو بعد الهداية الباطنية التي تجتذب قلوب المشتاقين، وتوصلهم إلىٰ كمالهم المطلوب، ومن الواضح أن هذا التأثير غير متعلق بالاتصال الجسماني بالإمام.

وبأخذ ما تقدّم بنظر الاعتبار، يتّضح لنا وجه تشبيه إمام العصر (عج) في غيبته بالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها السحاب عن الأبصار.[١] ذلك أنّه على الرغم من عدم انتفاع الإنسان بنور الشمس وحرارتها إذا جلّلتها السُّحب بشكل تام إلّا أن هذا لا يعني عدم الانتفاع بها كلّياً، وهكذا الحال في عدم الانتفاع التام ببركات وجود إمام العصر (عج) نتيجة عدم توفّر الشروط والاستعدادات لدى البشر، وأمّا من جهة الفعل الإلٰهي أو من جهة الإمام (عج)، فليس هناك أي نقص أو قصور.[٢]

ما ذكرناه كان يتعلق بالآثار التشريعية والتربوية لوجود صاحب الزمان (عج)، وأما من حيث الآثار التكوينية، فإن فلسفة الخلق هي في وجود حجة إلٰهية، إذ لا تخلو الأرض من حجة، ولو خلت لساخت بمن عليها كما ورد في الروايات.[٣] من هنا يمكن الوقوف علىٰ مغزىٰ معاني العبارات الواردة في بعض الأدعية، نظير (بيُمنه رُزق الورىٰ وبوجوده ثبتت الأرض والسماء).

---

١. انظر: كمال الدين وتمام النعمة، الباب ٤٥، ح ٤.
٢. انظر: السيد المرتضىٰ، الرسائل، ج ٢، ص ٢٩٧، ٢٩٨.
٣. انظر: أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجة، باب أن الحجة لا تقوم لله علىٰ خلقه إلّا بإمام.

مسألة طول عمر إمام العصر(عج)

ثمّة شبهة تُثار حول طول عمر صاحب الزمان (عج)، وهي: اقتضت القوانين الجارية أن يكون عمر الإنسان محدوداً، إذ قلّما تصل الأعمار إلىٰ أكثر من مائة عام، وعلىٰ أية حال، لم يكتب لأحد عمرٌ أبدي.[١]

هذه الشبهة واهية ولا أساس لها من الصحة، لأسباب، منها:

أوّلاً: إن العمر الطويل ممكن عقلاً، كما أن قدرة الله غير متناهية، وانطلاقاً من ذلك، فليس هناك أي محذور عقلي في طول عمر صاحب الزمان (عج).

ثانياً: إذا ما تصفحنا التاريخ، لوجدنا فيه أشخاصاً كثيرين عاشوا عمراً طويلاً، ونُعتوا بـ(المعمرّين). يُذكر أن القرآن الكريم أشار إلىٰ لبث نوح في قومه مدة (٩٥٠) عاماً ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾.[٢] وهذا يُعرب عن أن هذه الفترة الزمنية كانت مدة نبوّته لا مدة حياته.

وجاء في كتاب المعارف لابن قتيبة أنّ آدمعليه السلام عمّر ألف عام، وشيث بن آدم (٩١٢) عاماً، ولقمان بن عاد (٣٥٠٠) عام وفي قولٍ آخر (٧٠٠٠) عام.[٣] وعمّر شداد ـ حسب قول ابن خلدون ـ (٩٠٠) عام، قضىٰ (٣٠٠) عام منها في تشييد مدينة إرم وسط مفازة عدن.[٤]

ثالثاً: يعتقد المسلمون أن الخضر كان حياً في زمن موسىٰعليه السلام ولم يزل حياً، وسيبقىٰ إلى ما قبل يوم القيامة،[٥] كما هو شأن عيسىعليه السلام. وقد صرّحت الروايات المعتبرة بأن عيسىٰعليه السلام سينزل من السماء في وقت ظهور المهدي (عج) ويقتدي به.[٦]

رابعاً: اثبتت التجارب العلمية ان الإنسان قادر علىٰ ان يعمرّ طويلا فيما إذا توفرت له ظروف وامكانات مناسبة ذلك ان منشأ تدني الاعمار ـ حسب النظرة العلمية ـ ليس هو قصور الاقتضاء بل هو اضطراب الأسباب والعوامل المؤثرة على استقرار الحياة

---

١. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج ٤، ص ١١٧، ١١٨. ٢. العنكبوت، ١٤

٣. انظر الفصول العشرة في الغيبة للشيخ المفيد، الفصل السادس (المجلد الثالث من مصنفات الشيخ المفيد). ولمزيد من الاطلاع على المعمّرين، راجع: الشيخ الصدوق، كمال الدين.

٤. انظر: مقدمة ابن خلدون، ص ١٤.

٥. ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ٢٩٣، ٢٩٤

٦. سنن ابن ماجة، ج ٢، كتاب الفتن، الباب ٣٣؛ السيد صدر الدين الصدر، المهدي، ٢٢٧، ٢٢٨

البشرية وعلىٰ هذا الأساس فاطالة العمر يتم عبر رعاية المقررات الصحية وتوفير ظروف مناسبة للحياة والابتعاد عن كل ما يخل باستقرارها.[١]

وعلىٰ ضوء ذلك، فمسألة طول عمر صاحب الزمان (عج) يمكن قبولها وتفسيرها من الناحية العقلية والدينية والتاريخية والعلمية، ولا يجدر بالمحقق المنصف التشكيك في هذه المسألة.

وقت الظهور وعلاماته

لا يُعلم علىٰ وجه التحديد وقت ظهور الإمام المنتظر (عج)، وقد ورد في الروايات النهي عن التوقيت والتأكيد علىٰ كذب مدّعي ذلك، فعن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كذب الوقاتون، إنّا أهل بيت لا نوقّت، أبىٰ الله إلّا أن يخلف وقت الموقّتين».[٢]

وعلى الرغم من أن وقت ظهور المهدي (عج) غير معلوم، إلّا أن ثمة علامات أشارت إليها الروايات تحدث قبل ظهوره، منها ما هو حتمي الوقوع، ومنها ما هو غير حتميّ، أي أن بعض العلامات حتميّ الوقوع ولوقوعها سيتحقق ظهور المهدي الموعود، وبعضها الآخر ليس حتميّ الوقوع، فقد يحصل البداء في تحققها، وعلىٰ فرض تحققها، فليس من الحتمي تحقق ظهور المهدي. وإنما هي مجرد وقائع ستحقق قبل الظهور.[٣]

ويتضح مما تقدم أن الحديث في هذا الموضوع ليس هيّناً، بل هو بحاجة إلى اطلاع واسع ومهارة خاصة في معرفة العلامات الحتمية من غيرها.

ومن الحوادث المهمة التي تسبق ظهور المهدي (عج):

تفشي الظلم والجور، شيوع النفاق والنزاع في المجتمعات البشرية، وقوع الخسوف

---

١. راجع: مجلة المقتطف، العدد الثالث، لسنة ٥٩.
٢. محمد إبراهيم النعماني، الغيبة، الباب ١٦، ح ١٢، وورد هذا المضمون في روايات متعددة.
٣. المهدي، ص ١٩٣

والكسوف في زمن لا يُتوقع فيه حدوث مثل ذلك، خروج السفياني والدجّال، قتل ذي النفس الزكية، وسماع صيحة من السماء تبشّر بظهور المهدي.

وقد صرحت بعض الروايات بحتميّة وقوع بعض تلك العلامات، ومن الواضح أن معرفة أي العلامات حتمية وأيها غير حتمية، يحتاج إلى اطلاع واسع ودقة نظر.[١]

---

١. انظر: غيبة النعماني، الباب ١٨؛ الصدوق، كمال الدين، الباب ٥٧؛ المهدي، الفصل السابع؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٥؛ منتخب الأثر، ص ٤٢٤ـ٤٦٢.

٥

الشيعة والرجعة

يعد الاعتقاد بالرجعة من الاعتقادات الخاصة بالشيعة الإمامية، وتعني الاعتقاد بعودة فئة من أولياء الله ومحبي آل البيت عليهم السلام وزمرة من أعدائهم وخصومهم إلى الحياة الدنيا عند ظهور المهدي الموعود (عج) وسيادة حكومة العدل الإلٰهي في كافة أرجاء المعمورة. فأما أولياء الله والصالحون فسيقطفون ثمرات إيمانهم وأعمالهم الصالحة في هذه الدنيا من خلال رؤية موازين الحق والعدل تحكم الدنيا، وأما أعداء أهل البيت وخصومهم فسيلقون تبعات ظلمهم وبغضهم لآل الله في هذه الدنيا أيضاً، ومن المؤكد أنّ الثواب أو العقاب النهائي سيتحقق عند قيام الساعة.

وما ينبغي ذكره هو أن الرجعة أمر ممكن، وليس هناك أي محذور عقلي فيه، وأدلّ دليل علىٰ إمكانه، وقوعه في التاريخ السحيق، فقد أشار القرآن الكريم إلىٰ إحياء (عُزير) بعد مرور مائة عام علىٰ وفاته،[1] وإلىٰ معجزة عيسىٰ عليه السلام في إحياء الموتىٰ،[2] وتحدّث عن قصة إحياء قتيل بني إسرائيل.[3] هذه نماذج من الرجعة وعودة الأموات إلىٰ هذا العالم، وعلىٰ هذا فتشبيه الرجعة من قِبَل بعض المغرضين والمشككين بالتناسخ ما هو إلّا مكابرة للحق والحقيقة.

إضافة إلىٰ ما تقدّم، فإن الأدلة التي أقامها علماء الشيعة حول هذه المسألة تنقسم

---

١. البقرة، ٢٥٩ ٢. المائدة، ١١٠ ٣. البقرة، ٧٢، ٧٣

إلىٰ ثلاث طوائف: آيات الذكر الحكيم، والسنة النبوية الشريفة، وروايات العترة الطاهرة. وأهم تلك الأدلة الروايات المتواترة المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام والتي نقلها العلامة المجلسي في بحار الأنوار، وبلغت نحو (٢٠٠) رواية، وقد جمعها من أكثر من خمسين كتاباً حديثياً وكلامياً وتفسيرياً للشيعة، ورواها ما يزيد على أربعين راوياً، هذا إلىٰ جانب الكتب والرسائل المستقلة لأعلام الشيعة حول الرجعة. كما تعرّض عدد منهم إلىٰ هذا الموضوع في مبحث غيبة الإمام المهدي (عج). ومع توفّر هذه الأدلة والشواهد، لا يبقىٰ مجال للشك والتردد فيها خصوصاً لمن آمن بحقانيّة أهل البيت عليهم السلام، وهذا الأمر أفضىٰ إلىٰ انعقاد إجماع علماء الإمامية بشأن هذا الموضوع.[1]

ومن أوسع الكتب التي أُلّفت حول الرجعة في العصور الأخيرة، هو كتاب الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة[2] للمحدّث الشيعي الحرّ العاملي، كما بحث العلّامة السيد عبد الله شبرّ هذا الموضوع بتفصيل في كتابه حق اليقين.

وقد استدلّ متكلمو الشيعة ـ إلى جانب الاستدلال بأحاديث الأئمة عليهم السلام أو إجماع علماء الشيعة على الرجعة ـ ببعض الآيات الكريمة على الرجعة، ونكتفي هنا بهاتين الآيتين:

١. ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.[3]

تتحدث هذه الآية عن يوم حشر، يختصّ بطائفة من المذنبين، في حين أن الحشر في يوم القيامة عام، كما يقول تعالى: ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.[4]

وعلى ذلك، فالقرآن الكريم تحدّث عن حشرين: أحدهما عام، والآخر خاص، فالحشر العام يتعلق بالقيامة والآخرة، والحشر الخاص يتعلق بطائفة خاصة في الدنيا لا في الآخرة، ويُسمىٰ هذا بالرجعة.[5]

٢. ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.[6]

---

١. بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٢٢ ـ ١٢٤

٢. طُبع هذا الكتاب أخيراً في (٤٧٢) صفحة بتحقيق السيد عبد الكريم محمد الموسوي، وعُنيت بنشره مؤسسة السيدة معصومة عليها السلام

٣. النمل، ٨٣

٤. الكهف، ٤٧

٥. مصنفات الشيخ المفيد، ج ٧، ص ٣٢، ٣٣ (المسائل السروية)

٦. غافر، ١١

تخبر هذه الآية عن المذنبين الذين يتحدّثون يوم القيامة عن إماتتينْ وإحياءيْن، أي أن الله تعالىٰ أحياهم مرّتين وأماتهم مرّتين.

ومن الواضح أن كل أفراد البشر يحيون ويموتون مرّة واحدة، ما عدا هذه الفئة، فإنها تموت مرّتين وتحيىٰ مرّتين، وهذا يتّفق تماماً مع الاعتقاد بالرجعة.

فالذين تشملهم الرجعة يموتون مرّتين ويحيوْن مرّتين. أما منكرو الرجعة فقد فسّروا الآية على النحو التالي: إن المراد من الإماتتين: الموت قبل الدنيا والموت بعد الدنيا، والمراد من الإحياءين: الحياة في الدنيا والحياة في الآخرة.

هذا التفسير لا ينسجم مع ظاهر لفظ (إماتة)، ذلك أن مفاده سلب الحياة عن موجود حيّ، وبعبارة أُخرىٰ: يوحي استعمال لفظ (الإماتة) إلىٰ أن الإماتة مسبوقة بالحياة، بينما لا تصدق (الإماتة) على المخلوق من تراب أو نطفة ولم تلجه الروح بعد، هذا إلىٰ جانب ما يوحي إليه ظاهر الجملة المذكورة من أنها صدرت عن أفراد من البشر كانا أحياءً ثم ماتوا مرّتين.

وقيل: (إن المراد بقوله ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ الموتة التي تكون بعد حياتهم في القبور للمسألة، فتكون الأُولىٰ قبل الإقبار والثانية بعده، وهذا أيضاً باطل من وجه آخر، وهو أن الحياة للمسألة ليست للتكليف فيندم الإنسان علىٰ ما فاته في حاله. وندم القوم علىٰ ما فاتهم في حياتهم المرتين يدلّ علىٰ أنّه لم يرد حياة المسألة، لكنه أراد حياة الرجعة التي تكون لتكليفهم والندم علىٰ تفريطهم فلا يفعلون ذلك فيندمون يوم العرض علىٰ ما فاتهم من ذلك).[1]

ومن جملة أدلة الرجعة الحديث النبوي المشهور والمقبول عند الفريقين، ومفاده أن الحوادث التي تحدث للأمم السابقة تحدث للأمة الإسلامية أيضاً، وإليك نصّ الحديث:

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع».[2]

---

١. مصنفات الشيخ المفيد، ج ٧، ص ٣٣ـ٣٥ (المسائل السروية)

٢. صحيح البخاري، ج ٩، ص ١١٢، كتاب الاعتصام بقول النبي ﷺ

وروى الشيخ الصدوق في كمال الدين عن النبيﷺ أنّه قال: «كلّ ما كان في الأمم السالفة فإنه يكون في هذه الأمة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة».[١]

ومما لا شكّ فيه أن الرجعة تعدّ من الحوادث المهمة في تاريخ الأمم السابقة، وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ وقوعها في بني إسرائيل وغيرهم، ولذا فمقتضى الحديث النبوي المذكور أن تقع أيضاً في الأمة الإسلامية، وقد استدل الإمام الرضاعليه السلام بذلك لما سأله المأمون العباسي عن الرجعة.[٢]

وفلسفة الرجعة هي عودة ثلة من أولياء الله ومحبّي أهل البيتعليهم السلام وزمرة من المعاندين وأعداء أهل البيت إلى الدنيا قبل حصولهم على الجزاء الأخروي لخصوصيات يمتازون بها، وذلك في أيام سيادة حكومة العدل الإلٰهي، وسيشاهدون بأم أعينهم آثار ونتائج عقيدتهم وأعمالهم.

أما من هم الأشخاص الذين سيرجعون؟ وما هي أسماؤهم علىٰ وجه الدقة؟ فإن ذلك ما أشارت إليه بعض الروايات، إلّا أنّه لا يمكن الركون إليها، وقد ذكر العلاّمة عبدالله شبّر ـ بعد أن عقد بحثاً عقلياً ونقلياً حول الرجعة ـ بأن الاعتقاد بالرجعة من ضروريات مذهب الإمامية، وقال:

> قد عرفت من الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة وكلام جملة من المتقدمين والمتأخرين من شيعة الأئمة الطاهرين أن أصل الرجعة حق لاريب فيه ولا شبهة تعتريه، ومنكرها خارج عن ربقة المؤمنين، فإنها من ضروريات مذهب الأئمة الطاهرين، وليست الأخبار الواردة في الصراط والميزان ونحوهما مما يجب الإذعان به أكثر عدداً وأوضح سنداً وأصرح دلالة وأفصح مقالة من أخبار الرجعة واختلاف خصوصياتها لايقدح في حقيقتها كوقوع الاختلاف في خصوصيات الصراط والميزان ونحوهما، فيجب الإيمان بأصل الرجعة إجمالاً وإن بعض المؤمنين وبعض الكفار يرجعون إلىٰ الدنيا وإيكال تفاصيلها إليهمعليهم السلام.[٣]

---

١. كمال الدين، ص ٥٧٦ ٢. بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٥٩، ح ٤٥
٣. حق اليقين، ج ٢، ص ٣٥